

تفسير أبي السعود

سورة المؤمنون 64 66 الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن حسبا ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخضية لما وصف به المؤمنون من الأعمال الصالحة المذكورة وفيه أنه لا مزية في وصف أعمالهم الخبيثة بالتخضية للأعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخضية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره هم لها عاملون مستمرين عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها حتى إذا أخذنا مترفيهم أي متنعيمهم وهم الذين أمدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لأعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من مضمون الشرطية أي لا يزالون يعملون أعمالهم إلى حيث إذا أخذنا رؤساءهم بالعذاب قيل هو القتل والأسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي أصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقبطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والأولاد والحق أنه العذاب الأخرى إذ هو الذي يفاجئون عنده الجوار فيجابون بالرد والإقنات عن النصر وأما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جوار حسبا ينبئ عنه قوله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فإن المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر حتما وأما عذاب الجوع فإن أبا سفيان وإن تضرع فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالإقنات حيث روى أنه كقوله D من بالاستغاثة الصراخ فاجئوا أي يجأرون هم إذا ذلك عنهم فكشف بكشفه دعا قد A تعالى فإليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الأخذ بالعذاب ومفاجأة الجوار مع عمومهم لغيرهم أيضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس أمرهم وكون ذلك أشق عليهم ولأنهم مع كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فأن يلقاها من عداهم من الحماة والخدم أولى وأقدم لا تجأروا اليوم على إضمار القول مسوقا لردهم وتبكيته وإقناتهم مما علقوا به أطماعهم الفارغة من الإغاثة والإعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتحويله والإيذان بتفويتهم وقت الجوار وقد جوز كونه جواب الشرط وأنت خير بأن المقصود الأصلي في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك إلى أن يكون مفاجأتهم إلى الجوار غير مقصود أصلي وقوله تعالى إنكم منا لا تنصرون تعليل للنهي عن الجوار ببيان عدم إفادته ونفعه أي لا يلحقكم من جهتنا نصره تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سباق النظم الكريم لأن جوارهم ليس إلى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصور يتهم من قبله ولا سياقه فإن قوله تعالى قد

كانت آياتي تتلى عليكم الخ صريح في أنه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته